

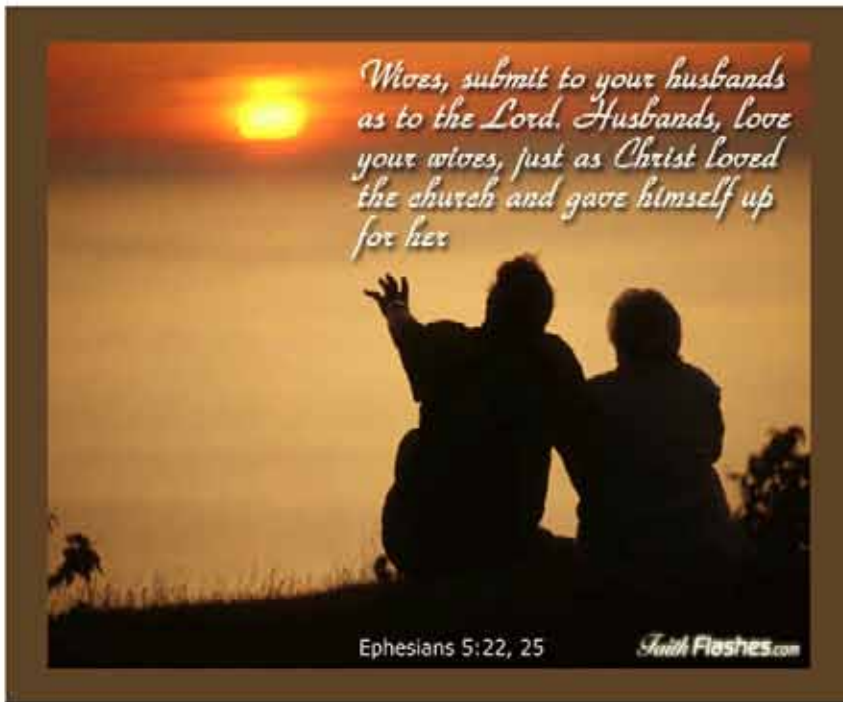
## إيجاد الحب الحقيقي

إعداد مايك جبران

عن كتاب

دليل تقديم المشورة إلى الشبيبة

جوش ماكدويل



"في جو من الحرية والعلاقات والانفتاح، كم نحتاجُ نحن الشباب، في الشرق والغرب، إلى فهم صحيح لمعنى الحب الحقيقي، وأن نعيش علاقة سليمة على أساس كتابي صحيح، فلا نغلظ ولا نندم على شيء بل نحيا الحياة على أصولها وضمن الضوابط التي تضمن سعادتنا".

مايك

## المقدمة

بدأ خليل وسمير يتواعدان للقاء معاً في سن السادسة عشرة. كانت سمر فتاة سمراء جميلة، بينما كان خليل الذي يهوى كرة المضرب أشقر. ولم يكن أي منهما قد تواعد للقاء شخص آخر قبل ذلك. وعندما أصبح الاثنان في المرحلة الثانوية العامة، راحا يتحدثان عن أحلامهما بالزواج غير أن خليل كان يخفي في نفسه سرّاً لم يبح به لسمير.

اعتاد خليل وسمير أن يتواعدا معاً للقاء عماد وهو أقرب أصدقاء خليل إليه وصديقه نسرین. وتطورت أواصر الصداقة بين الجميع. وبدا أن هنالك رباطاً قوياً مميّزاً يشد أربعتهم أحدهم إلى الآخر. ثم تزوج خليل وسمير بعد تخرجه من الجامعة. أما عماد وصديقه نسرین فسبقاهما إلى الزواج قبل عام.

وعلى الرغم من أن الأصدقاء الأربعة نادراً ما التقوا بعد المرحلة الثانوية، إلا أنه كان هناك رباط آخر لم تعرف عنه سمر أو نسرین أو عماد إلى أن أخبر خليل سمر خيراً وقع عليها وقوع الصاعقة. فبعد أقل من ثمانية أشهر على زواجهما أعلن خليل لسمير أنه سيهجرها. وفسر لها بأنه في حوالي نفس الوقت الذي بدأ يتواعدان للقاء، أي قبل سبع سنوات، وقع في حب نسرین زوجة صديقه الحميم.

قالت له سمر: "لكني أحبك". فأجابها: "ولكني لا أحب إلا نسرین، وهي التي أحببتها على الدوام". لم يتواعد خليل ونسرین للقاء قط. ولم يعبر لها يوماً عن حبه. لكنه قال لسمير: "سأعبر لها الآن عن عواطفني. وأنا لا أتوقع منها أن تترك عماد. لكنني لا أستطيع أن أقاوم رغبتني في الإفصاح لها عن مشاعري. لا أستطيع الابتعاد عنها. ولا يمكنني أن أعيش بدونها."

## مشكلة إيجاد الحب الحقيقي

الكل يريد. فبدونه تكون الحياة في أحسن الأحوال ناقصة، وفي أسوأها يائسة. وإن التوق الشديد لأن يُحِبَّ الإنسان ويُحِبَّ موجودٌ في قلب كل بشر، ذكراً كان أو أنثى.

يطرقُ الناس طرقاً مختلفاً لاكتشاف الحب الصادق، الحب الحقيقي، الحب القوي والعميق، الحب الذي يدوم كل العمر. غير أن الجري وراء الحب سبب أوجاعاً وآلاماً ومرارة تفوق كل ما سببته الأمراض والحروب عبر التاريخ.

يبدل كثيرون أقصى جهد لديهم في محاولتهم فهم طبيعة الحب، وفهم كيفية إمكان العثور عليه. وهناك أشخاص كثيرون مستعدون أن يعطوا أي شيء تقريباً مقابل أن يختبروا الحب، خاصة حب شخص من الجنس الآخر. والحب هو الذي يجعل الحياة مثيرة لدى المراهقين. غير أن أعداداً هائلة من الشباب تتجه إلى الألم، والحيرة، والحسابات الخاطئة المأساوية، والأخطاء، لافتقارهم إلى فهم واضح لما يعنيه وما لا يعنيه الحب.

## أسباب عدم إيجاد الحب الحقيقي

يقول "جونستون" (Jerry Johnston):

"تبلغ ساندي السابعة عشرة من عمرها. ولشعرها لون الرمل. هي طالبة في المرحلة الثانوية تحوز علامات جيدة. وهي تبدو بشكل عام متوافقة مع وضعها. غير أن قصتها أبعد ما يكون عن الصفاء والهدوء والسعادة. فقد بدأت ممارسة النشاطات الجنسية منذ أن كانت في الثالثة عشرة من عمرها. ومنذ ذلك الوقت عاشرت سبعة شباب أو ثمانية بالإضافة إلى المرات الكثيرة التي تواعدت فيها مع شباب على لقاء لم يتكرر.

عندما بدأت قصة ساندي تتكشف لي، أحسست فوراً بالندم والوحدة في رنة صوتها. كانت ترى المستقبل كنيباً ملبداً بغيوم تجارهما، التي كانت تعلم أنها ما كانت يجب أن تحدث. تمت لو أن الأمور سارت على نحو مختلف. وكان قلبها متقللاً بإحساس الحبيبة، وهي تتذكر لحظات قضتها مع شباب تحاول الآن أن تنسى أسماءهم. وقد حمل كل واحد منهم شظية من شظايا قلبها المكسور. أما الآن فقد انتهى الأمر. فالقصة قد وصلت إلى ختامها، ولم يعد هناك شيء إلا شعور بالمرارة في قلبها. فقد تنازلت عن الكثير في سرعة كبيرة وفجأة، وعلى غير انتظار، ابتسمت ساندي وقالت: "لكن كل هذا تغير الآن. فعلاقتي مع صديقي علاقة خاصة مميزة. .... ويتسم حيناً بالرومانسية والإثارة. فانا أحبه كثيراً وأعلم أنه يحبني. وحيناً هذا مختلف عن كل حب آخر عرفته." وبعد لحظة من السكوت المدروس المتعمد سألتها: "حقاً؟ كم مضى على بدء تواعدكما على اللقاء؟" قالت: "شهران".

لقد ذهبت لأن ساندي لم تكن تعي تماماً ما تقوله. فقد كانت أعمق رغبة لديها رغم العلاقات الأخرى (أو ربما بسببها)، هي أن تختبر الحب الحقيقي. غير أنها سرعان ما نسيت الأشخاص الآخرين، الذين كانت تعتقد أن كل واحد منهم هو الشخص المناسب لها. فالحب الراهن هو دائماً الحب الحقيقي لبنت مثل ساندي".

## المراهقون لا يعرفون ما هو الحب

وهكذا فإن مراهقين كثيرين يرتكبون أخطاء مأساوية. وقد يرتكب بعضهم مثل ساندي هذه الأخطاء مرة بعد مرة. وغالباً ما يكون السبب وراء مثل هذه الأخطاء هو أن المراهقين (مثلهم في ذلك مثل كثير من البالغين) لا يعرفون ما هو الحب الحقيقي؛ فهم يخلطون ما بين الحب الحقيقي، والاختبارات، والمشاعر الأخرى. ونتيجة لذلك فإنهم يفتنقرون إلى أي أساس يقومون بموجبه العلاقات التي يسعون إلى تأسيسها، والقرارات التي يتخذونها بحثاً عن الحب الحقيقي.

تقدّم كثيرٌ من المدارس دورات تثقيفية تعلّم الحب ومعنى الجنس.... لكن ما من أحد من السياسيين، أو المدارس، أو النجوم المشهورين يخبر الشباب عما يحتاجونه أكثر من غيره، وعما يرغب معظمهم في سماعه. لا يخبرونه عن أكثر شيء فاعلية في تحليصهم من خيبة الأمل والمرض، ألا وهو الفهم الكتابي الواقعي للحب الحقيقي ما يعنيه وما لا يعنيه.

### ما لا يعنيه الحب

الحب الحقيقي ليس الشهوة. قال أحد مغني الروك ملاحظة عميقة حيث قال: "لا تدور أغاني الحب اليوم حول الحب، وإنما حول الشهوة". وكثيراً ما نخلط بين الشهوة والحب في أفكارنا، وموسيقانا، وأفلامنا، ومجلاتنا وحتى في ثقافتنا عموماً. لكن الحب يختلف اختلافاً كبيراً عن الشهوة. فالحب يعطى، بينما الشهوة تأخذ. الحب يثمن الحبيب ويقدره، بينما الشهوة تستغله. الحب يدوم، أما الشهوة فتخمد.

الحب الحقيقي ليس قصة غرام رومانسي..... ويستطيع بعض الشباب أن ينطق بعبارات تجعل بعض البنات تحس بالرضى الداخلي. ويمكن أن تجعل بعض الفتيات الشاب يحس بأنه أعظم من أي شخص آخر بمجرد النظر إلى عينيه. ويمكن لعشاء على ضوء الشموع مصحوباً بموسيقى حاملة، ورقصة بطيئة، في ليلة مليئة بالنجوم أن تعطي إحساساً بأن هذه اللحظات مميزة. فقصص الحب الرومانسي أمر يتعلق بإحساس؛ أما الحب الحقيقي فأكثر من ذلك بكثير.

الحب الحقيقي ليس الافتتان. فالافتتان هو انبهار بشخص من الجنس الآخر أو اهتمام شديد به. ويمكن أن يؤدي هذا إلى أن يصبح الشاب أو الشابة مبهور الأنفاس، وغائب الذهن (مسطولاً)، وحالماً، ومشوش الذهن. وتصف "هاجيت" (Joyce Huggett) الافتتان على أنه: "... يتركز عادة على الذات لا على الآخر. فأنت تُعجب بشخص، وتخدع نفسك بإقناعها بالوقوع في حب شخص آخر تحوم حوله أحلامك. وتعتقد أنك مستحق للتخلي عن استغراقك في الذات من أجل مصلحة هذا الشخص الآخر. ثم تستيقظ ذات صباح لتكتشف أن إحساسك بالنشاط والخفة قد تبخر في الليل. كما تجد نفسك أسيراً لمشاعر مطابقة نحو شخص آخر."

عندما يتحدث الناس عن "الوقوع في الحب"، أو "الحب من النظرة الأولى"، فإنهم يتحدثون غالباً عن الافتتان. ويمكن أن يكون الافتتان شعوراً غامراً لكنه ليس حباً حقيقياً.

الحب الحقيقي ليس الجنس. يخلط مراهقون كثيرون (بالإضافة إلى البالغين كثيرين) بين كثافة الجنس وعلاقة الحب القوية. غير أن الأمرين مختلفان تماماً. فالحب عملية، بينما الجنس فعل. الحب أمر نتعلمه، بينما الجنس أمر غريزي. يتطلب الحب اهتماماً، أو انتباهاً، أو عناية دائمة، بينما لا يتطلب الجنس بذل أي جهد. يحتاج الحب إلى وقت للتطور والنضج، بينما لا يحتاج الجنس إلى أي وقت للتطور. يتطلب الحب تفاعلاً عاطفياً، وروحياً، بينما لا يتطلب الجنس إلا تفاعلاً جسدياً. من شأن الحب أن يعمق العلاقة، أما الجنس (الذي يعمل وحده) فيخمل العلاقة.

إذا الحب الحقيقي ليس هو الشهوة، أو الحب الرومانسي، أو الافتتان أو الجنس.

### ماهو الحب

إن السؤال الحيوي للمراهق هو: "كيف أعرف إن كنت أحب؟" تحتل هذه المسألة أهمية كبيرة وملحة في قلوب الشباب وعقولهم. ومما يصعب المسألة هو أن عدداً قليلاً جداً من الناس -مراهقين أو بالغين- يعرفون ما هو الحب الحقيقي.

وكما أن كثيراً من الناس يخلطون بين الحب والشهوة، أو الحب الرومانسي، أو الافتتان، أو الجنس، كثيرون أيضاً لا يدركون أن هناك بالواقع ثلاث أنواع من "الحب"، أو ثلاث طرق للسلوك يطلق الناس عليها اسم "الحب".

الحب المشروط. إن هذا النوع الأول من الحب هو النوع الوحيد الذي عرفه كثير من الناس. إنه الحب الذي يعطيه الإنسان أو يناله عندما تتحقق شروط معينة. إذ على المرء أن يفعل شيئاً حتى يستحق هذا النوع من الحب:

"إن أحسنت السلوك، فسيحبك بابا."

"إذا حصلت على علامات عالية ..."

"إذا تصرفت أو لبست بطريقة معينة..."

"إذا حققت توقعاتي منك كحبيب..."

يُقَدِّمُ هذا النوع من الحب مقابل شيء يريدُه الحُب. ودافعُه الأساس أناني. وغرضه هو أن يحصل على شيء مقابل الحب.

وهناك كثيرون من الشباب الذين لا يعرفون نوعاً آخر من الحب غير الذي يقول: "سأحبك إن منحتني جسديك". وما لا يدركونه هو أن الحب الذي يتوقعون أن يحصلوا عليه من شخص عن طريق الرضوخ لطلباته الجنسية، هو حب رخيص لا يشبع ولا يستحق أبداً الثمن المدفوع فيه.

ترتبط ديمومة الحب المشروط بالشروط الموضوعية لديمومته. فالأمور تجري على ما يرام ما دامت الشروط تُلَبَّى. وعندما يكون هناك تراخٍ أو تكاسل عن تلبية التوقعات، أو ممارسة الجنس، أو السماح بالإجهاض، فإن الحُب يقوم بالتوقف عن الحب.

تنهار زيجات كثيرة لأنها بُنيت على هذا النوع من الحب. وعندما لا يتم تحقيق توقعات الحُب، فإن الحب المشروط غالباً ما يتحول إلى الخيبة والاستياء. إن الأمر الحزن هو أن الأشخاص المعنيين ربما لا يعرفون سبب ذلك أبداً.

الحب نتيجة سبب. النوع الثاني من الحب هو الحب نتيجة سبب. وفي هذا النوع من الحب يحصل الشخص على الحب لأنه يمثل شيئاً أو يفعل شيئاً. ويعكس هذا النوع من الحب مواقف يتم التعبير عنها عادة كما يلي:

"أحبك لأنك جميلة جداً."

"أحبك لأنك غني."

"أحبك لأنك تعطي إحساساً بالأمان."

"أحبك لأنك مسلي ومضحك."

ربما يبدو هذا الحب جيداً جداً. أفلا نريد أن يحبنا الناس لما نحن عليه، ولما نفعله؟ إنه من المؤكد أن هذا النوع من الحب أفضل من الحب المشروط. إذ يجب أن يُبذل جهد دائم لكسب الحب المشروط. إنسه الأمر لا يتطلب منا أو يشترط علينا الكثير، أن يكون هنالك شخص يحبنا لما نحن عليه، أو لما نفعله. لكن ما الذي يحدث عندما يظهر على المسرح شخص أجهل؟ أو أكثر إضحاكاً؟ أو أغني؟ ما الذي يحدث عندما نكبر أو نفقد وظيفة تُكسبنا المكانة والهوية؟ إن كانت هذه الأشياء هي الأسباب التي تجعل شخصاً آخر يحبنا، فإن هذا الحب مؤقت وضعيف.

كما يوجد عيب آخر في الحب المسبب. ويتمثل هذا العيب في أن لكثير منا شخصيتين منفصلتين؛ فنحن نعرض ذاتاً أو شخصية عامة يعرفها الجميع، لكننا نخفي ذاتنا، أو شخصيتنا الحقيقية، أو الخاصة، تلك الشخصية الكامنة في الأعماق التي لا يعرفها إلا أشخاص قليلون إن كان هناك من يعرفها أصلاً. ومن المحتمل جداً أن يخشى الشخص الذي يحب حباً بسبب سمة أو صفة فيه أن يسمح للآخرين بمعرفة حقيقته الداخلية. فهو يخشى أن يحبه أو يقبله الآخرون بشكل أقل، أو أن يرفضوه بشكل كلي إذا انكشفت حقيقته. وينتمي كثير من الحب الذي نعرفه في حياتنا إلى هذا النوع المتقلب وغير الدائم.

الحب لذاته. إن النوع الثالث من الحب جميل بقدر ما هو غير شائع. إنه حب دون شروط. يقول هذا النوع من الحب: "أحبك رغم ما يمكن أن تكون عليه حقيقتك الداخلية. أحبك مهما تغير فيك. وليس هنالك ما يمكن أن تفعله لصرفي عن حبك. فأنا أحبك وكفى!" ليست "الحبة لذاتها" محبة عمياء. إذ يمكنها أن تعرف الكثير عن الشخص الآخر المحبوب. يمكنها أن تعرف نقائصه، غير أنها تقبله بشكل كامل دون أن تطالب بشيء آخر في المقابل. ولا يوجد طريقة لاستحقاق هذا النوع من الحب، ولا يمكن للإنسان أن يخسره. إذ ليس مرتبطاً بشروط. يختلف "الحب لذاته" عن الحب المشروط في أنه لا يتطلب تلبية شروط معينة قبل أن يعطى. ويختلف "الحب لذاته" عن الحب المسبب في أنه غير ناشئ عن صفة جذابة ما في الشخص المحبوب. "فالحب لذاته" علاقة عطاء. وهو كله متعلق بالعطاء. أما نوعا الحب الآخران فيتعلقان بالأخذ.

### نظرة الكتاب المقدس للحب الحقيقي

"الحب لذاته" هو الحب الحقيقي الوحيد، والحب الصادق الوحيد، والحب الكتابي الوحيد. ويظهر الحب الحقيقي حسب نظرة الكتاب المقدس عندما تكون سعادة الطرف الآخر، وصحته، ونموه الروحي، هامة لديك كأنها لك. تقول كلمة الله: "تحب قريبك كنفسك"؛ فهي لا توصينا أن نُحب قريبنا أكثر من

أنفسنا. يفترض فينا أن نحب الله أكثر من أنفسنا، لكنه مطلوب منا أن نحب قريتنا، أو جارنا، أو صديقنا، أو صديقتنا، أو شريك حياتنا، كما نحب أنفسنا.

تساعد (أفسس ٥: ٢٨) على فهم طبيعة المحبة بشكل أفضل: "كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يجب امرأته يحب نفسه." فما الذي يعنيه أن نحب أجسادنا كما يوصي الكتاب المقدس؟ تشرح الآية التالية هذا الأمر: "فإنه لم يبغض أحداً جسده قط بل يقوته ويربيه، كما الرب أيضاً للكنيسة."

وهكذا فإن تعريف الله للحب الحقيقي يعني تسديد احتياجات الذين نحبهم ورعايتهم، أي نحميهم ونعمل على دعم سعادتهم، وصحتهم، ونموهم الروحي. ولهذا لا يلجأ الحب الحقيقي إلى استغلال الشخص الآخر، أو الإساءة إليه عاطفياً، أو جسدياً، لأن هذا لا يسد احتياجاته، ولا يدعم سعادته، وصحته، ونموه الروحي.

الحب الحقيقي لا يضغط على الطرف الآخر لممارسة الجنس خارج الزواج، لأن هذا لا يجعله محمي الطرف الآخر؛ كما لا يدعم سعادته، وصحته، ونموه الروحي. لا يصر الحب الحقيقي على جعل الشخص الآخر يفسخ علاقات صحية أخرى، لأن ليس من شأن ذلك أن يدعم سعادته، وصحته، ونموه الروحي.

يعرف "ستيسي وباولا رينهارت" (Stacy and Paula Rinehart) الحب الحقيقي بالمصطلح الكتابي "Agape"، أو المحبة الإلهية. فيقولان: "إن محبة 'Agape' استجابة غير مشروطة للطرف الآخر فتقول: 'أحبك رغم ما فيك من نقاط الضعف التي أراها فيك'. إنها اهتمام بمصلحة الشخص الآخر دون أدنى رغبة في التحكم فيه، أو توقع الشكر منه، أو التمتع بهذه العملية. وهي تصل إلى نقطة الاستعداد للعبء عندما لا يكون الطرف الآخر قادراً على مبادلة المحبة بمثلها، سواء كان ذلك بسبب المرض، أم الفشل، أم بسبب ساعة ضعف. إنه حب قادر على إصلاح الروابط التي قطعها الخيانة، أو اللامبالاة، أو الغيرة. إن أفضل مثال على هذا النوع من المحبة هو الله نفسه. 'لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل...'" (يوحنا ٣: ١٦).

ملاحظة إلى القراء: هذا الموضوع مأخوذ من كتاب دليل تقديم المشورة إلى الشبيبة تأليف جوش ماكدويل، بشكل يناسب الأخوة الأحباء في مجتمعاتنا.  
هذا الكتاب رائع جداً جداً أنصح الشباب والبنات جميعاً أن يقرأوه على أمل أن يحدث تغييراً في مفاهيمهم وحياتهم كما حدث معي.

مع محبتي مايك جبران

mikejubran@hotmail.com